Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أبى ذؤيب ، كمواقف الحب ، وبكاء الأطلال المهجورة من الأحبة ، وهم يلحون حينئذ فى طلب الحزن أو وصف البكاء لأنه ليس ماثلا فى نفوسهم بالصورة التى يصورونها ، أما أبو ذؤيب فهو يشعر فى موقفه هذا بأن ما لديه من دواعى البكاء أكثر وأقوى مما يريد ، ومما يحتمل ، فهو يحاول إبعاد هذه الدواعى بكل ما يستطيع .

ولو كانت الخنساء تشعر بأن لديها من الحزن ما يصوره شعرها ، وما يتصوره الفهم السائد لكانت خليقة بأن تلجأ إلى مواساة نفسها ، وإلى محاولة التخفف من هذا الحزن الثقيل كما فعل أبو ذؤيب ، ولكننا نجدها عكس ذلك ، تسرف إسرافا شديدا فى طلب البكاء والحزن ، لأن نفسها فى حقيقة الأمر ليست مفجوعة وليس فيها حزن حقيقى ، ولكنها مع ذلك مليئة بمشاعر أخرى غير هذا الحزن ، مليئة بمشاعر التعاسة والكآبة وخيبة الأمل ، سواء على المجد الذى انهار بموت صخر ، أو على مصباح شخصيتها وآمالها الذى أنطفأ أيضا بموت صخر ، فلم يكن صخر غاية ، وإنما كان وسيلة ، وكان وسيلة وحيدة لم تجد الخنساء عنها بديلا ، ولو كان صخر غاية لحزنها لوجدنا تعبيرها عن حزنها يختلف عما كان عليه ، فإن أيسر التأمل فى رثائها يرينا أنه ليس تصويرا لحزن أو عواطف ومشاعر نحو ذى رحم مفقود كسائر الأحزان التى تعبر عن لوعة ، أو عن ألم نفسى ، أو جرح قلبى وإنما كان رثاؤها كله مما يمكن أن يوصف بأنه فخر معكوس ، بمعنى أننا لو تصورنا صخرا حيا ، ثم أرادت الخنساء أن تمدحه ، فلن يختلف مدحها إياه فى قليل أو كثير عما رثته به بعد موته فكان رثاؤها مجرد مدح لصخر ، أو فخر به ، غاية الأمر أنه فخر معكوس بمعنى أنه فخر بأشياء فقدت بموت صخر ، فبدل أن تقول إنه يتصف بكذا ، أصبحت تقول : إنه كان يتصف بكذا كقولها :

يـا عين جودى بـالـدموع على الـفتى الـقـرم الأغـر

وبدل أن تقول إن لنا مجدا شامخا أقامه هؤلاء الأبطال من مثل صخر ، أصبحت تقول إننا فقدنا مجدا شامخا بفقد هؤلاء الأبطال ، كقولها :

بكت عينى وعاودت السهودا وبت الليل جانحة عميدا
لذكرى معشر ولوا وخلّوا علينا من خلافتهم فقودا